

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: : فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل فإنها وصية الله للأولين والآخرين: (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)

ثم اعلّموا أن الشرط الرابع من شروط لا إله إلا الله هو: الصدق المنافي للكذب المانع من النفاق ودليل الصدق : قوله تعالى : (أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (٢).

قال البغوي رحمه الله : ﴿ (وهم لا يفتنون) لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنهم ليبين المخلص من المنافق ، والصادق من الكاذب إلى أن قال وقيل (وهم لا يفتنون) بالأوامر والنواهي وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الإيمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة ، وسائر الشرائع فشق على بعضهم فأنزل الله هذه الآية، ثم عزاهم فقال (ولقد فتنا الذين من قبلهم) يعني الأنبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ، ومنهم من قتل ، وابتلي بنو إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب (فليعلمن الله الذين صدقوا) في قولهم آمنا (وليعلمن الكاذبين) (٢) والله أعلم بهم قبل الاختبار ، ومعنى الآية وليظهرن الصادقين من الكاذبين ﴿ (٢)

ومن أدلته أيضا ما ثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صادقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار »

والصدق من أفضل المقامات وأرفعها ولهذا وصف الله كلامه به فقال تعالى: (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً) النساء ٨٧

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعِنْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) النساء ١٣٢
وسمى القرآن صدقا فقال: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) الزمر ٣٢

(٢) العنكبوت آية ٢٠.ة.
(٢) تفسير البغوي ٤٦٠/٣.

ووصف به أنبياءه فقال: (ووهبنا لهم مَن رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) مريم ٥٠
ووصف به خواص المؤمنين فقال تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)
الأحزاب ٢٣

وذكر أن أهل الصدق هم أهل التقوى فقال: (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) البقرة ١٧٧
وذكر جزاء أهل الصدق ف: (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْرُ
الْعَظِيمُ) المائدة ١١٩

وقال تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ
وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ...إلى قوله: أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الأحزاب ٢٥
وأمر باتخاذهم صحبة فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)
التوبة ١١٩

وذكر صفاتهم فقال: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) الحجرات ١٥
وحقيقة هذا الشرط أن يقول العبد هذه الكلمة صادقاً من قلبه، والصدق أن يواطئ
القلب اللسان، ولذا قال الله تعالى في ذم المنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ
إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ
﴿فوصفهم سبحانه بالكذب، لأن ما قالوه بألسنتهم لم يكن موجوداً في قلوبهم.

كما في قوله تعالى: (أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ
قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنِ قُلُوبُهُمْ) المائدة ٤١
ومن تمام معرفة فضل الصدق أن نعلم قبح ضده وهو الكذب والنفاق :

قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ *
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (٣).

هذا إخبار من الله جل وعلا عما درج عليه المنافقون من إظهار الإيمان بألسنتهم
وإضمار الكفر في قلوبهم مخادعة لله -زعموا- والمؤمنين كي يغتروا بهم ويركنوا
إليهم والنتيجة العكسية لهذه المراوغة هي خداعهم أنفسهم واستدراجهم ولكنهم لا
يشعرون بذلك لفرط جهلهم وخبث طويتهم .

ونظير ما قصه الله عن المنافقين في آيات البقرة هذه قوله تعالى من سورة النساء (إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَأَوْنَ لِلنَّاسِ

(٣) البقرة آي ٨-٩-١٠ .

وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضَلِلِ
اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٣) .
أيها المسلمون..على العاقل أن يعرض نفسه على هذه الآية وما شابهها ليعرف مدى
صدقه:

١. أين نحن من مطابقة القول لما في القلب في معاملاتنا مع القريب والبعيد؟
٢. أين نحن من ذلك في تقدير المسؤولية والخوف من تبعاتها وإعطائها حقها؟
٣. أين نحن من ذلك في القيام إلى الصلاة بنشاط وحيوية من مواطن الكسل؟
٤. أين نحن من ذلك في ذكر الله بإخلاص وحب وفقه؟
٥. أين نحن من ذلك في الثبات على المبادئ دون تذبذب أو تردد؟
٦. أين المرأة المسلمة من ذلك في حجابها وقرارها في بيتها؟
٧. أين نحن وأين نحن أيها الإخوة المسلمون؟؟

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ
خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) الأنفال ٧٠

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به
جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا
ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا
تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ عملنا ولا تسلط علينا بذنوبنا
من لا يخافك فينا ولا يرحمنا . وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم (وللحديث بقية)

(الجمعة ٢٤ / ١١ / ١٤٢٧ هـ - ١٥ / ١٢ / ٢٠٠٦ م)

(٣) سورة النساء آية ١٤٣ .